

القَصَصُ الدِّينِي
الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

شاهد

عبد الحميد جودة السحار

١٤

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

القصص النبوية

داود

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٢ شارع كامل صدقي - الجيزة

صندوق وضع به بنو إسرائيل الألواح ، وعصا موسى ، وشيئا من المن الذي نزل عليهم في طور سيناء ، وبعض أشياء خاصة بهارون . وقد هزم بنو إسرائيل لأنهم عادوا إلى عصيان الله ، فسلط عليهم أهل فلسطين الأعداء ، وعادوا مشردين أذلاء .

اجتمع أكابر بني إسرائيل وفكروا في حالهم ، فسأهم الذل الذي هم فيه ، فرأوا أن يذهبوا إلى نبيهم ، الذي أرسله الله إليهم في ذلك الزمان ، يدعوهم إلى العمل الصالح ؛ فلما قابلوه قالوا له :

— أذلنا أعداؤنا ، واستولوا على التابوت ، وهزمونا ، وشتتونا ، وقتلوا الرجال وأخذوا الأولاد ، فجئنا إليك نشاورك في هذا الأمر .

فقال لهم نبيهم :

— وماذا تريدون ؟

تاه بنو إسرائيل أربعين عاما في الصحراء جزاء مخالفتهم لأمر الله ، وعدم دخولهم الأرض المقدسة ومعهم نبيهم موسى . وقد مات موسى عليه السلام . وجاء بعده نبي آخر من بني إسرائيل . وكانوا قد تأذبوا بالعقاب الذي عاقبهم الله به في الصحراء ، فأطاعوا النبي الجديد ، ودخلوا أرض فلسطين ، وهزموا سكانها الذين كانوا كفارا في هذا الوقت وامتلكوها .

ولكن فيما بعد وقعت بينهم وبين أهل فلسطين حروب أخرى ، فهزمهم أهل فلسطين ، وأذلهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، وقتلوا رجالهم ، وأخذوا أولادهم ، واستولوا على التابوت ؛ والتابوت

- نريد أن تدعو ربك ليجعل علينا مليكا يحكمنا ،
ويجمعنا حوله ككل شعوب الأرض ، ويقودنا لنقاتل
في سبيل الله .

قال لهم نبيهم :

« هل عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ؟
» قالوا : وما لنا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وقد
أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ؟ » .

٢

ذهب النبيُّ يُصَلِّيُ لله ويدعوه أن يجيب رغبة
قومه ، وبينما هو يصلي أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ سَيَجْعَلُ
طَالُوتَ مَلِكًا عَلَيْهِمْ ، فخرج النبيُّ إلى بني إِسْرَآئِيلَ
وقال لهم :

- إِنَّ اللَّهَ اسْتَجَابَ لِدَعَائِنَا ، وسيبعث لنا ملكا .

فقالوا في هفة :

- من هو ؟

قال لهم نبيهم :

- طالوت .

وكان طالوت رجلا فقيرا ، فقال بعضهم :

« أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَمْ يَكُنْ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ، وَلَمْ
يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ؟ » قال نبيهم :

« إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ، وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ
وَالْجِسْمِ ، وَاللَّهُ يُعْطِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ » .

وقال قائل منهم :

- وما أدرانا أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَ طَالُوتَ لِيَكُونَ مَلِكًا
لَنَا ؟

فقال لهم نبيهم :

« إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت ، فيه سَكِينَةٌ من ربكم ، وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ ، تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » .
واجتمع الناس حول نبيهم ينتظرون آية الله ، وإذا بهم يجدون التابوت أمامهم بكل ما فيه ففرحوا وولوا طالوت ملكا عليهم .

٣

طلب طالوت من بني إسرائيل أن يستعدوا لقتال أعدائهم ؛ فخرج فيمن خرج مع طالوت داود وإخوته وأبوه ، وكان داود أصغر إخوته ، خرج معهم ليقدم لهم الطعام والماء في أثناء القتال .
وقبل أن يتحرك الجيش ، قال طالوت لجنوده :
« إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ (يعنى سيمتحنكم بنهر) ،

فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ ، فَلَيْسَ مِنِّي ، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ، إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ » . ؟
قال طالوت لهم ذلك ليعرف إن كانوا سيطيعون أوامرهم أم يعصونها لأنه لا فائدة في جندى لا يطيع أوامر قائده .

وسار جيش طالوت ، حتى إذا وصلوا إلى النهر ، شرب بنو إسرائيل من النهر ، وعَصَوْا أمر طالوت ، إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ؛ فَأَمَرَ طَالُوتُ مَنْ عَصَوْهُ وَشَرَبُوا مِنَ النَّهْرِ أَنْ يَرْجِعُوا لِأَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِمْ ، إِذْ أَنَّهُمْ لَا يُطِيعُونَ الْأَوَامِرَ .

وعبر طالوت والذين معه النهر وأصبحوا أمام جيش جالوت حاكم الفلسطينيين ، فلما رأوا جيش جالوت الضخم خافوا ، وقالوا :

« لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ » إِنَّ إِخْوَانَنَا

قد تركونا . وأصبح جيش جالوت أكبر من جيشنا .
فقال المؤمنون ، الذين يظنون أنهم مُلاقون الله :
« كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ،
وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

وخرج جنود طالوت للقاء جنود جالوت ،
واستعدوا للقتال ، وقالوا يدعون الله :
« رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » .

٤

كانت الحرب في ذلك الوقت تبدأ بين رجل
ورجل ، ثم تدور بين الجيشين ، فخرج رجال
يقتلون ، ثم خرج جالوت وقال :
- يا طالوت ، لِمَ يُقْتَلُ قَوْمِي وَقَوْمُكَ ؟ اخرج

لقتالي أو اخرج لي مَنْ شِئْتَ ، فَإِنْ قَتَلْتُكَ كَانَ الْمَلِكُ
لِي ، وَإِنْ قَتَلْتَنِي كَانَ لَكَ .

وصاح طالوت في جنوده :

- من يخرج لقتال جالوت ؟

فلم يخرج أحد ، لأن جالوت كان قويًا ، وما كان
أحد يستطيع أن يغلبه . وبقي بنو إسرائيل خائفين من
جالوت ، وجالوت واقف في كبرياء ، يرتدى
ملابس الحرب .

قال جالوت : هل من أحد يريد أن يقاتلني ؟

ورأى داود خوف بني إسرائيل ، فخرج من
الصفوف وقال :
- أنا أقاتلك .

فنظر جالوت الفخم الضخم إلى داود الصغير ،
وقال له :

- ارجع يا فتى فإنى لا أريد أن أقتلك .

فقال له داود :

- لا ، بل أنا أقتلك .

وكان داود يجيد استعمال القذافة (المقلاع) ، فوضع فيها حجرا وأرسله ، فجاء الحجر بين عيني جالوت ، فسقط على الأرض ، فأسرع داود إليه وقطع رأسه .

فلما رأى جيش جالوت قتل ملكهم ، خافوا وفرّوا مغلوبين . وانتصر بنو إسرائيل على أعدائهم بفضل داود .

٥

كان داود جميل الصوت ، فكان يُسبح الله بصوته الجميل ، فتخشع قلوب الناس ، وكان كثير العبادة ،

كثير الصوم والصلاة ، فأحبه الله ، وآتاه الملك على

بنى إسرائيل ، وعلمه أشياء كثيرة ، وقال له :

« يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم

بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى ، فيضلك عن

سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم

عذاب شديد ، بما نسوا يوم الحساب » .

ولم يكن داود يمضي كل وقته في الصلاة

والصوم ، بل كان يعمل بيده لياكل ، على الرغم من

أنه ملك ، لأنه كان يعرف أن أفضل الكسب ما

يكسبه الإنسان من صنع يديه .

وقد آلاى الله له الحديد ، فكان يصنع منه ما

يشاء من دروع الحرب وغيرها ، وعلم الناس صنع

الدروع من الحديد ليلبسوها في أثناء الحرب .

- قُصَا عَلَى قِصَّتِكُمَا .

قال أولهما :

- إِنَّ هَذَا أَخِي ، لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً ، وَلِي نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ نَعِجَتِي فَيُكْمِلَ بِهَا نَعَاجَهُ مِائَةً .

قال داود :

- لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسْؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ .

وهنا اختفى الرجلان فجأة ، فعرف داود أنهما ملكان أرسلهما الله ليفهماه خطأه . فخرّ رَاكِعًا لَهِ ، وَرَاحَ يَبْكِي ، وَاسْتَمَرَ فِي بَكَائِهِ وَدَعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ :

- يَا دَاوُدَ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ ، وَوَهَبْتُ لَكَ ابْنًا يَكُونُ اسْمُهُ سَلِيمَانَ ، وَسَيَكُونُ مِثْلَكَ صَاحِبَ عَقْلٍ حَكِيمٍ .

تزوج داود زوجات كثيرات ، فكان له تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَةً ، وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَقَفَ فِي شُرْفَةِ قَصْرِهِ ، فَرَأَى امْرَأَةً جَمِيلَةً ، فَأَحَبَّ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا لِيُكْمِلَ أَزْوَاجَهُ مِائَةً ، وَلَكِنِهَا كَانَتْ مُتَزَوِّجَةً ، فَمَاذَا يَعْمَلُ ؟

دخل داود إلى محرابه يُصَلِّيُ اللَّهُ ، وَهنا جاء رجلان وطلبا مقابلته ، فقال لهما الحراس : إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقَابِلَكُمَا الْيَوْمَ ، لِأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ عِبَادَتِهِ ؛ فَذَهَبَا إِلَى سُورِ الْمِحْرَابِ وَتَسَلَّقَاهُ ، وَدَخَلَا عَلَى دَاوُدَ وَهُوَ يُصَلِّيُ ؛ فَمَا شَعَرَ إِلَّا وَهُمَا جَالِسَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَخَافَ مِنْهُمَا ؛ فَقَالَا لَهُ : لَا تَخَفْ ، إِنَّمَا نَحْنُ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، فَاحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ .

قال لهما :

قال :

- نعم . أيها الملك العادل .

قال داود :

- يأخذُ صاحبُ الحقلِ هذه الغنم ، مقابلَ زرعِهِ
الَّذِي فسد .

عند ذلك قال سليمان :

- عندي فكرةٌ أخرى يا نبيُّ الله .

قال داود :

- قل .

قال سليمان :

- صاحبُ الغنمِ يأخذُ الحقلَ ليُصلِحَه ، وصاحبُ
الحقلِ يأخذُ الغنمَ لينتفعَ بلبنها ونتاجها . حتى إذا
عادَ الحقلُ كما كان . أخذَ صاحبُ الحقلِ حقله ،
وأخذَ صاحبُ الغنمِ غنمه .

٧

رزقَ الله داودَ بابنه سليمان ، فقرحَ به ، واغتنى
بتربيته وتعليمه ، حتى كبرَ وشبَّ .

وصار سليمانُ يجلسُ مع أبيه وهو يحكمُ بين الناس
بالعدل والحق .

وفي ذات يومٍ جلسَ داودُ ومعه سليمانُ فجاءَ
رجلانِ يَخْتَصِمَانِ .

قال أحدهما :

- إن غنمَ هذا الرَّجُلِ دخلتْ حَقلي ، وأكلتْ ما
فيه من الزُّرعِ .

وسأل داودُ صاحبَ الغنمِ :

- هل فعلتْ غنمُك هذا ؟

قال داود :

- الآن يجب أن تتولى أنت الحكم ، فقد أصبحت
أنا شيخا كبيرا ضعيفا . أما أنت فصرت رجلا قويا
حكيمًا -